اللغة العربية بين الثقافة والثقافة المضادة

The Arabic language between Culture and Anti-Culture

إعداد

د/ إيهاب همّام الشيوي

Dr. Ehab Hammam El-Shewy

كلية الآداب، جامعة الوادي الجديد

Doi: 10.21608/mdad.2024.339796

استلام البحث ١٦ / ١١ /٢٠٢٣

قبول النشر ٤ / ١٢ /٢٠٢٣

الشيوي، إيهاب همام (٢٠٢٤). اللغة العربية بين الثقافة والثقافة المضادة. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٤)، ١-٣٠ .

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

اللغة العربية بين الثقافة والثقافة المضادة

مستخلص:

يقارن البحث بين حالين للغة العربية في إنتاج نوعين من الثقافة، الثقافة المتغلّبة، والثقافة المضادة في الخطاب الاستعماري خلال نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين، حيث سعى المستعمِر إلى تغيير الهوية الإسلامية -بالتشكيك في العربية وتراثها، وإثبات تخلُّفها عن اللغات الأجنبية- من أجل السيطرة على مجتمعاتها؛ غير أن تلك المجتمعات الواعية أثبتت قوة لغتها العربية في إنتاج ثقافة مضادة للخطاب الثقافي الاستعماري، والمحافظة على هويتها ووحدة شعوبها.

وينقسم البحث إلى ثلاثة محاور هي:

المحور الأول: علاقة اللغة بالثقافة.

المحور الثاني: اللغة العربية وإنتاج الثقافة المُتَغَلِّبة.

المحور الثالث: اللغة العربية وإنتاج الثقافة المضادة.

- **كلمات مفتاحية:** اللغة العربية - الثقافة المتغلبة - الثقافة المضادة - الخطاب الاستعماري.

Abstract:

The research compares two cases of the Arabic language in producing two types of culture: the dominant culture and the anti-culture in colonial discourse, during the late nineteenth and early twentieth centuries AD. The colonizer wanted to change the Islamic identity -by casting doubt on Arabic and its heritage and proving its backwardness from foreign languages- to control their societies. However, these conscious societies demonstrated the power of their Arabic language in producing an anti-culture to the colonial cultural discourse and preserving its identity and the unity of its peoples.

The research is divided into three axes:

- **First axis:** The relationship between language and culture.
- **Second axis:** The Arabic language and the production of

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

dominant culture.

- **Third axis:** The Arabic language and the production of anti-culture.

▪ **Keywords:** Arabic language - Dominant culture - Anti-culture - Colonial discourse.

. . .

مقدمة:

اللغة العربية وعاء الفكر والثقافة العربية الإسلامية، وقد تأثرت بالحراك الثقافيّ داخل المجتمعات العربية وخارجها؛ فقويت بقوة أهلها وازدهار حضارتهم، وضَعُفت بضعفهم وتراجع تلك الحضارة خلال الصراع الطويل بين العرب وأصحاب الثقافات الأجنبية. ويعكس هذا الصراع في عمومه بُعْدًا من أبعاد التَّمرد الفكريّ والثقافي، أو التبعية الأيديولوجية لأُمَّة ما على غيرها من الأمم. وهذا البعد بقطبيه –التَّمرد والتبعية– وليدُ صراع إنساني أخذ منذ بداياته الأولى مظهرًا عسكريًّا، ثُمَّ تغيَّرت خطّطُ المستعمرين في السيطرة على الشعوب، بعد أن ثبت عدم جدوى هذا المظهر السُّلْطَويّ للمنتصر والمهزوم على حَدٍّ سواء، حيث أدرك السياسيون أنفسُهم أنَّ أي انتصار أو هزيمة يقف وراءهما انتصارٌ أو هزيمة علمية أو جمود فكري ثقافي لتلك الأمة، وهذا ما أكَّده رئيس الوزراء الياباني بعد هزيمة بلاده في الحرب العالمية الثانية؛ قائلًا: إن هزيمة اليابان كانت في المعمل، وليس في ميدان الحرب.

وانطلاقًا من هذا التصور؛ يمكن تحليل حالات الانتصار والانكسار التي مرَّت بها الأمة العربية والإسلامية في صراعها مع الأمم الأخرى؛ فإن استقراء الأحداث التاريخية لأمتنا يثبتُ أنَّ نهضتها الفكرية والثقافية في مجالاتها المختلفة كانت وراء كل انتصار مادي ومعنوي لها. ويُقاس على ذلك تراجع تلك النهضة، وأثرها في ضعف الأمة في مجالات التعليم، والاقتصاد، والصناعة، والنفوذ العسكري، فأين اللغة العربية من صراع الأمة العربية الإسلامية مع الاستعمار الأوربي، وفكره الاستشراقي؟ وهل كانت هزائمُنا أو انتصاراتنا في المجالات العسكرية نتائج منطقيّة لمقدمات من الانتصار أو الانكسار في مجالات الفكر والثقافة؟ هذا ما نطرحه للنقاش والمثاقفة من خلال المحاور الآتية، والله -تعالى- من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

المحور الأول: علاقة اللغة بالثقافة

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

علاقة اللغة بالثقافة مُتَجَذِّرة في حياة الأمم؛ فكل تجمُّع بشري يُوجِد لغة يتعارف أهلوها عليها، ويتواصلون بها فيما بينهم، فهي أهم مقومات بشريتهم ووجودهم في هذه الحياة، ومُوَجِّه رئيس لثقافة مجتمعهم، وفكر أفراده، وتصوُّرهم لقضاياه. وعلى أساس هذه العلاقة؛ ليس من المنطق عزل أزمة اللغة في مجتمع ما عن أزمته الثقافية، ومعركته المصيرية مع الثقافات الأخرى؛ فاللغة تعكس هُوِيَّة المجتمع، وهُوِيَّة ذلك المجتمع جزء من ثقافته، بمعناها الجَمْعِيّ الشامل [١].

وعند بحث هذه العلاقة في الثقافة الإسلامية سنجدها ذات خصوصية، مبعثها ارتباط العربية بالقرآنِ الكريمِ الذي جعلها لغة نموذجيَّة مثالية؛ فكان امتدادها وتأثيرها في حياة الأمة الإسلامية، ومن ورائها حياة الأمم والشعوب رهينًا بامتداد أثر ذلك النص المعجز، وتعاليم الدين الحنيف فيهم على حَدٍّ سواء. وأُؤكد أنَّ هذه العلاقة لم تَضْعُفْ يومًا ما، بدليل بقائها في أوربا، بعد هزيمة المسلمين واضمحلال دولة الخلافة فيها؛ فالعربية كانت -ولا تزال- مُقَوِّمًا للثقافة الإسلامية عند المسلمين غير العرب، حيثُ بقيت ببقاء هؤلاء، كما أنَّها اضمحلت بخروجهم، واستئصال شَأْفَة الإسلام من بعض الممالك، كما حدث بإسبانيا خلال فترات التطهير العرقي، ومحاكم التفتيش؛ فإن ظهور النزعات القومية عند هذه الأمم غير العربية يستدعي إحياء لغاتها وألسنتها؛ فتنحسر العربية بوصفها لغة التداول، وإنْ أقامتْ على الإسلام دينًا لارتباطها القرآن الكريم [٢].

أوجدت علاقة العربية بثقافتها الإسلامية نوعًا من التَّبَدُّلات اللغوية، والتَّحَيُّزات الثقافية في المجتمع العربي خاصَّة، والمجتمع الإسلامي عامَّة. أما التَّبَدُّل اللغوي؛ فيمكن تلَمُّسه في الألفاظ الإسلامية، والأعراف الشرعية التي اكتسبها المعجم اللغوي للعربية، من ارتباط تلك اللغة العصماء بالنص القرآني المعجز، وفقدان الاستعمال اللغوي لبعض الألفاظ الجاهلية غير الملائمة لتعاليم الدين الحنيف. أما عن التَّحَيُّزات الثقافية التي جسدتها اللغة بوصفها منهجًا في التفكير ونقل الأفكار، فهي ماثلة في العقيدة الإسلامية، والقيم الدينية، والمضامين الأخلاقية، والمعاملات المشتركة بين أفراد المجتمع الجديد. وبالتالي غدتِ اللغة العربية معبِّرةً عن حضارة ذات ثقافة إسلامية خالصة، وعن تصور فريد لحقائق "الألوهية، والكون، والإنسان، والحياة" يتسق مع المنهج الكلي لحياة المسلمين في سائر بقاع الأرض، حتى ولو جاورتها ثقافات أجنبية مخالفة لها.

إنَّ المتأمل في تاريخ الثقافات الإنسانية لَيَجِدُ اختلافات غير محدودة في تصور الثقافة الإسلامية لهذه الأمور الأربعة عن غيرها من الثقافات الأجنبية. فالثقافة العلمانية،

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أو الثقافة الشيوعية، أو الثقافة البرجماتية النفعية، أو الثقافة البوذية ... وغيرها تتصور هذه الحقائق من منظور نظريات وَضْعيَّة وأفكار بشرية، ينتقيها صفوة من أفراد مجتمعاتها، ثم يسعون إلى أن تكون أيديولوجياتهم منهجَ حياةٍ لهم؛ لكنَّ التصور الإسلامي لهذه الحقائق جعل الثقافة الإسلامية ثقافة "ربانية" المصدر والغاية، تنفرد بعقيدة التوحيد، وهي ثقافة "عالمية"، مبنية على الحرية والاعتراف بثقافة الآخر، فهي ثقافةٌ تُرْسِي أخلاق العمران والتنمية، كما أنها ذات ثوابت ومتغيرات مرهونةٍ في تَغَيُّرها بمنهج الله تعالى، وتتصف هذه الثقافة أيضًا بالشمول والتكامل، وتُحَوِّل السلوك الإنساني إلى عبادة؛ ولعل خصائصها المتفردة قد جعلتها ثقافة "متوازنة وإيجابية" في علاقة الإنسان بالله، والكون، والحياة، وثقافة "واقعية" تدفع الإنسان تجاه السلوك الموافق لعالم الواقع، وحقائقه الموضوعية [٣].

وهذا يفسر لنا بقاء الثقافة الإسلامية، وعدم تَبَدُّلها حتى في فترات الضعف واضمحلال نفوذ الحضارة الإسلامية، إذا ما قُورِنت بالثقافات الأجنبية الأخرى التي نرى مِن السهل التأريخ لبدايتها ونهايتها، وحصر مواطنها الجغرافية، ولغاتها المُعَبِّرة عنها، تلك التي أحالتها إلى ثقافات متعددة، لا إلى ثقافة واحدة، فالعلمانية موطنها أوربا، ولغات مجتمعاتها هي الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية ... إلخ. أما الشيوعية فمحصورة في دول الاتحاد السيوفيتي قبل تفكُّكه، وقد سَعَتْ روسيا بكل قوة إلى فرض اللغة الروسية على هذه الدول؛ لتغيير ثقافة شعوبها التي عرفت الإسلام ومارست تعاليمه، وتعلمت لغته العربية. وكذلك الثقافة البرجماتية النفعية في الولايات المتحدة الأمريكية التي رسَّخت نظرية نسبية القيم، والأخلاق في التعامل مع مصالحها في الداخل والخارج.

ومن جهة أخرى، أثبتت التجربة الثقافية للمجتمعات العربية أنَّ تَبَنِّي مثل هذه الثقافات الأجنبية في الدول العربية لا يعبر عنها غيرُ لغاتها الأمّ التي ارتبطت بها، وهذا يصدق على الثقافة الإسلامية ذاتها في كل موطن تَحُلُّ فيه؛ فاللغة -على حَدِّ قول **هنري بر**- "موطن الفكر، والموطن شيء آخر غير المجتمع" [٤]. ولذلك استطاعت اللغة العربية أن تُشكِّل فكر الأمة الإسلامية؛ فمثلت مجتمعات الدول العربية بامتدادها الجغرافيّ على الأرض، وهذه المجتمعات قد تتشابه في كثير من أنماط حياتها مع مجتمعات أخرى؛ غير أن اللسان العربي ظَلَّ الطابعَ المميزَ لهذه الأمة لا لمجتمعاتها، وانعكاسًا لوحدة فكرها. وهذه نتيجة تَتَلَمَّسُها في تعلُّم اللغات الأجنبية؛ فالعربي عندما

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يمارس لغة غير لغته فإنه يفكر بها، وكذلك الأجنبي عندما يتعلم العربية ويمارسها، فإنه يتأثر بطريقة تفكير أهلها، ومِنْ ثَمَّ لفظتِ الأمةُ العربية كلَّ الدعوات التغريبية الاستعمارية التي سَعَتْ إلى تغيير هويتها، واستبدال ثقافتها، ولذلك بَقِيَتْ هذه الثقافة، وتلك اللغة رغم ضعف أهلها في فترات متباعدة من تاريخ الحضارة الإنسانية.

ندلف من تأصيل علاقة اللغة العربية بثقافتها الإسلامية وخصائصها التي ميزتها عن الثقافات الأجنبية ولغاتها إلى الكشف عن دور اللغة العربية وأهميتها في تشكيل ثقافتين متضادتين في آنٍ معًا داخل المجتمعات العربية:

أولاهما، ثقافة (التبعية الفكرية) التي ضمَّنها الاستعمار خطابه السياسي من خلال لغة المجتمعات العربية، فعملت حركتَا الاستشراق والتبشير معًا في تقديم دراسات أنثروبولوجية عن تلك الشعوب؛ لغوية كانت، أو فكرية، أو جغرافية ... إلخ، قبل غزو بلادها واستعمارها؛ ثم قدمتَا منهجًا جدليًّا فكريًّا للتعامل مع العقلية العربية؛ ارتكز على تعلُّم الساسة والمفكرين الأجانب اللغة العربية، وفهم أسرارها، وثقافتها الإسلامية.

وثانيتهما، ثقافة (مقاوَمة) المجتمعات العربية عامة، والمجتمع المصري خاصة، للتبعية الفكرية للاستعمار. فقد تفاعلت اللغة العربية مع الثقافات الأجنبية في نهضة الفكر العربي، وتحويل مساره من تبعية "فكرية" إلى تبعية "علميّة" بالإفادة من العلوم الأوربية الحديثة، ومناهجها في تعليم اللغة العربية وتعلُّمها، فتأثرت اللغة بالحراك الثقافي، وتفاعلت معه في مجالات كثيرة في حدود ما يحفظ للمجتمع هويته الثقافية آنذاك، وذلك من خلال حركة الترجمة، وحركة الاستشراق اللغوي في المؤسسات التعليمية والأكاديمية، ودور الصحافة في تثقيف المجتمع وتوعيته بقضاياه، ثم مقاومتها الفكر الاستعماري في تغريب اللسان العربي داخل المؤسسات التعليمية.

وسنجد أن هذه المفارقة بين الثقافتين -الثقافة والثقافة المضادة- مبنيةٌ على استقراء آليات كل فريق في صراعه مع الآخر، وروافد الثقافة التي تفاعلت معها اللغة العربية، بوصفها لغة الثقافة الإسلامية، واللغات الأجنبية وثقافاتها المتعددة، بوصفها لغة المستعمر والعلوم الحديثة في الحضارة الأوربية. ونظرًا لأن الإطار الزمني لصراع الثقافتين ضارب أطنابه في التاريخ البشري وحضارته، وهو ما زال مستمرًا إلى يومنا هذا؛ فأقتصر على دراسة أحوال اللغة العربية وثقافتها في القرن التاسع عشر الميلادي، وكان وراء اختياري لتلك الفترة من تاريخ اللغات وثقافاتها عدةُ أسباب هي:

١- تعدُّ هذه الفترة مرحلة التطبيق الفعلي للمشروع الاستشراقي في غزو المجتمعات

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العربية فكريًّا تزامنًا مع الغزو الاستعماري، والمدّ التبشيري للبلاد العربية.

٢- شهدت هذه الفترة مشروع النهضة الحديثة لمصر في عهد الوالي محمد علي باشا، ومن ثَمَّ تصديره إلى باقي المجتمعات العربية.

٣- ظهور العلوم الغربية الحديثة، ومناهجها العلمية التي لم تعرفها المجتمعات العربية؛ ممَّا وضع العقل العربي بين مطرقة الانبهار بثقافة المُتغلِّب، وسندان التبعية الفكرية له في كل مناحي الحياة.

* * *

المحور الثاني: اللغة العربية وإنتاج الثقافة المُتَغَلِّبة

الفكر الاستعماري في القرن التاسع عشر الميلادي امتدادٌ لسلسلة الحملات الصليبية التي دحرها المسلمون في غير خندق وثَغْر؛ فهو فكر تُؤَجِّجُه دائمًا نيران الحقد على الإسلام، وتُؤَرِّقُه مرارة الهزائم المتلاحقة؛ لذلك بحث الاستعمار عن روافد تُعِيدُ إنتاجه، وتُلْبِسُه إهاب الفكر والثقافة والعلوم، الذي تنبهر ببريقه العقول الجامدة والأمم المتخلِّفة عن ركب الحضارة الإنسانية؛ فهدفوا بذلك إلى الهيمنة العسكرية، والسيطرة الفكرية على الشعوب العربية. ولعل أبرز هذه الروافد وأخطرها أثرًا رافدَا الاستشراق والتبشير؛ حيث تلاقت أفكار المستشرقين والمُبَشِّرين مع طموحات السياسيين، وتَوَحَّدَتْ أهدافهم في تشويه الثقافة الإسلامية لدى أهليها، ومحاولة دمج الأمَّة العربية في الحضارة الأوربية في ذلك القرن، وما يليه من قرونٍ، أَحَالَت العرب إلى عصور من التبعية الفكرية، والحتمية الثقافية للمستعمر المُتَغَلِّب.

١- رافد الاستشراق:

لا أجدُ فيما بلغني من دراسات نقدية للفكر الاستشراقي، وأثره في الثقافة الإسلامية إشارةً إلى البداية الزمنية الفعلية لظهوره وممارساته والإعلان عنه، بوصفه رافدًا من روافد إنتاج الفكر الاستعماري وسيطرته على الأمة الإسلامية؛ غير أنَّ ما يُطْمَأَنُّ إليه أنَّ هذا الفكر نشط عقب هزيمة الحملات الصليبية بدافع الثأر من المسلمين، فكانت دراسةُ المستشرقين تراثَ هذه الأمة المُتَغَلِّبَة عليهم آنذاك، وعقيدتها، وفكرها، وجوانب حضارتها وجهًا من وجوه تصحيح الأخطاء في معسكرهم، أو نوعًا من الانبهار بالمنتصر، على حَدِّ قول **ابن خلدون**: فـ "المغلوب مولعٌ أبدًا بالاقتداء بالغالب في شِعاره، وزِيِّه، ونِحْلَتِه، وسائر أحواله وعوائده" [٥].

ربما تَصْدُقُ هذه المقالة في المحاولات الفردية الأُولى للفكر الاستشراقي، قبل

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تأسيس المؤسسات والمعاهد الاستشراقية على أسس علمية وأكاديمية، لكنْ قد يُخْفِي هذا الولعُ بتراث أُمَّتنا وراءَه في كثير من الأحيان أغراضًا سياسية للهيمنة على الشعوب العربية؛ فقد انتفع الغزاةُ –مثلًا– بكتاب "أخلاق وعادات المصريين المعاصرة" الذي ألَّفه المستشرق الإنجليزي **إدوارد لين** في عام ١٨٣٦م، فكان مرجعًا أنثروبولوجيًّا لأول دراسة استشراقية عن المجتمع المصري، وعادات المسلمين فيه، وهي جزء من الثقافة العربية الإسلامية التي سَعَتِ الدول الاستعمارية الأوربية سعيًا حثيثًا إلى فهمها ودراستها قبل غزوها البلاد العربية(٦).

فعلاقة الاستشراق بالاستعمار والسياسة حقيقةٌ في واقعنا المعاصر؛ فهو القوى الفكرية الناعمة التي تعمل بجانب القوى العسكرية الغاشمة في خندق واحد من أجل بسط سطوتها على العالم الإسلامي، وزعزعة ثوابت الثقافة الإسلامية في نفوس أهليها، والتشكيك في أصولها المُسْتَقَاة من القرآن الكريم والسنة النبوية المُطَهَّرة، وفي قيمة الفقه الإسلامي والتشريعي للمجتمع، وكذلك قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور الحضاري وعلومه الحديثة، وغرس روح الجمود في آدابنا العربية، لنَتَّجه إلى آداب الغرب، وهذا هو الاستعمار الفكري والأدبي الذي يَبْغُونَه مع الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه (٧).

لقد اقتضتْ طبيعة نشأة الفكر الاستشراقي، وظروف الأمة الإسلامية في القرن التاسع عشر إلى تقسيم التراث الفكري للأمة إلى تراث "ديني"، وتراث "لغوي". ورغم أن بواعث تعلُّم المستشرقين اللغة العربية وعلومها، ودراسة التراث الإسلامي تصدر عندهم عن نوازع الكيد والحقد والتشكيك؛ فإنَّ منهجهم اتَّسم بالموضوعية في دراسة التراث اللغوي إلى حَدٍّ كبير، واتَّصف بالذاتية المَمْقُوتة، وافتقر إلى المنهجية المُنْصِفة في معالجة التراث الديني، فما أسباب هذه المفارقة المنهجية؟

أما عن تشكيك المستشرقين في تراث الأمة الديني والعقديّ؛ فيرجع لأمرين هما:

الأول، أنهم وجدوا مكمن قوة أُمَّتنا وتفوقها في كل جوانب الحضارة الإنسانية في صحة الدين وتمسكهم بعقيدته؛ فالانتصار في الميدان يقف وراءه انتصارٌ فكري وعلمي وثقافي في الوقت نفسه؛ ومن ثَمَّ لم يَأْلُ هؤلاء المستشرقون ومَنْ لفَّ لِفَّهم جهدًا في نزع الأمة من ثقافتها، واستبدال الثقافة الغربية للمستعمر بها؛ بدافع المغالطة الفكرية أو المباهاة بتفوق حضارتهم الحديثة على المسلمين في القرن التاسع عشر الميلادي وما بعده.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والثاني، وحدة المنهج واتفاق الهدف؛ فالاستشراق كان يعمل أيضًا لأغراض تبشيرية في نشر الدين المسيحي، واستبداله بالدين الإسلامي بعد تشكيك المسلمين في عقيدتهم، ونشر الفتن والخلاعة والمجون في مجتمعاتهم، فكان من المستشرقين مبشرون، وباباواتٌ، ورهبانٌ، ورجالُ دين.

بيد أنَّ تشكيكهم في اللغة العربية لم يكن بنفس الدرجة التي سعَوا إليها مع الثقافة الإسلامية لأمَّتنا العربية، على الأقل في مرحلة دراستهم الفكر العربي وفهم تراثه اللغوي؛ حيث أفادوا من اللغة أكثر ممَّا أفادت هي منهم، ووجدوا أنَّ ثمرة استبدال لسانٍ بلسان آخر في بداية حركة الاستشراق لا يُؤْتِي أُكُلَه إلا على المدى البعيد، وأنَّ البحث في اللغة وعلومها وآدابها رفاهية علمية وفكرية، وهذا أمر بحاجة إلى توطيدِ المستعمرات والهيمنة عليها، فهي جزء من العمران البشري، وطبيعة راسخة فيه على حدِّ قول **ابن خلدون** (٨).

وعلى أساس من ذلك؛ شهد القرن التاسع عشر إقبال المستشرقين على تَعَلُّم اللغة العربية، وفهم أسرارها؛ فهي وسيلة التواصل الاجتماعيِّ بين المستعمر وفكر شعوب الأمة العربية، ولا سبيل إلى السيطرة على فكر الأمة إلا بفهم لغتها الكاشفة لهويتها الإسلامية، العاكسة لفكرها الحضاري الذي تفوقت به على أوربا في عصورها الوسطى.

وخير دليل على ما نقول أنه بعد تَمَكُّن المستعمر من هيمنته العسكرية على دول الوطن العربي في مرحلة لاحقة على مرحلتنا هذه، شرع يسيطر على التعليم ومؤسساته، وأنشأ المدارس التبشيرية والأجنبية، وفرض تعليم لغته الأجنبية، وحارب تعليم العربية الفصحى في دور التعليم، والصحافة، والمؤتمرات، والندوات؛ فاستحوذ على أقلام الكُتَّاب والمثقفين؛ إما بالترغيب وإما بالترهيب؛ لبَثِّ الأفكار التي تنزع الأمة من لغتها وهويتها الثقافية والفكرية، فوَجَدَتْ دعوة المستشرق **كارل مرفر** إلى دمج شعوب المغرب العربي في الحضارة الأوربية صداها عند المُطَبِّعِين مع الثقافة الغربية، فأطلق الخديوي إسماعيل مقولته الشهيرة: "مصر قطعة من أوربا" (٩).

ومحصلة الأمر، أن الفكر الاستشراقي لم يلتزم بالمنهج العلمي الرصين ولا بالموضوعية في دراسة التراث الإسلامي والعقدي للأمة؛ لأنه صدر عن فكرة راسخة في أذهان المستشرقين هي تَصَيُّد الأدلة وإثباتها، تلك التي تدعم آراءهم في الطعن على ثوابت الدين، وتشكيك الأمة في عقيدتها.

٢- رافد التبشير:

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

إنَّ الأفكار الأيديولوجية في أوربا حول التبشير بالمسيحية في بلاد العرب أخذت طابَعها العسكري مع الحملات الصليبية؛ فهي حروب دينية يحركها ادِّعاء كاذب بأن انتشار الإسلام كان بقوة السيف أو هكذا روَّج رجال الدين لأتباعهم. لكن تغيَّرَتْ الثقافة الأوربية بعد أنْ مُنِيَتْ هذه الحملات بالهزيمة وفشل مخططاتها التبشيرية؛ لدرجة أن السياسيين وجدوا اختلاف ثقافتهم الدينية عن الثقافة الإسلامية، فصحة العقيدة أو فسادها هما المحكُّ في بناء الحضارة الإنسانية وتفوق صانعها؛ ومن هنا حدث صراع ثقافي بين الأمم داخل حضارة إنسانية واحدة. فإمَّا التبعية والاندماج في ثقافة المنتصر وحضارته، وإمَّا الاستقلال الفكري والتمرد على الثقافة المُتَغَلِّبة، رغم الإفادة من علومها ومعارفها، وإما التوازن الثقافي بأخذ ما يتفق مع تعاليم الإسلام، ولَفْظِ ما يخالفه.

لكنْ كيف يكون التبشير بالمسيحية رافدًا للفكر الاستعماري في الوقت الذي تَبَنَّى فيه الساسة والعسكريون والمثقفون الثقافةَ العلمانية التي تقوم على "فصل الدين عن الدولة"، وعلى مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"؟

أقول: قد ثبت فشل تجربة تزاوج السلطة والدين في الثقافة الأوربية في

كثير من مراحل صراع الثقافات داخل الحضارة الإنسانية؛ نظرًا لفساد العقيدة المسيحية آنذاك. ولم يكن هذا الشعور ببعيدٍ عن رجال الكنيسة، وإنْ لم يُفْصِحُوا عنه؛ فهم سَدَنَة هذا الدين والمُتَكَسِّبين من ورائه. ويبدو أنهم كانوا أسرع إلى تطبيق مبدأ العلمانية نفسها -الغاية تبرر الوسيلة- في المشهد الاستعماري للأمم والشعوب؛ حتى يحافظوا بذلك على الدين المسيحي بالتبشير به ونشره في أرض جديدة، بعد تشكُّك أوربا كلها في صحة عقائدها. ومن ناحية أخرى أرادوا تحقيق مكاسب اقتصادية للكنيسة، ممَّا جعل نشر المسيحية والتبشير بها هدفًا ثانويًّا، يُخْفِي وراءه مطامع شخصية واقتصادية لهؤلاء المبشِّرين [١٠]؛ ومن ثَمَّ كان التعاون بينهم وبين الساسة نوعًا من تخفيف حِدّة الاحتقان بينهما في المجتمع الأوربي؛ فرضي كلٌّ قبيل منهما باقتسام المكاسب المادية والمعنوية في المستعمرات الجديدة.

لسنا بحاجة إلى إثبات العلاقة الوطيدة بين حركتي الاستشراق والتبشير، فكان من المبشرين مستشرقون طعنوا في الإسلام، وافتروا عليه، وشَكَّكوا في ثوابته؛ وادَّعَوا أنه سبب تخلف الأمة الإسلامية، وجمود فكرها في كل المجالات، فحركة الاستشراق تخدم أهداف التبشير؛ فعندما تضعف عقيدة المسلم؛ يكون من اليسير غرسُ مبادئ الدين المسيحي مكانها، وهذه سبيل مُعَبَّدَة إلى محاكاة ثقافة المستعمر المُتَغَلِّب.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وهكذا تَشَكَّل الفكر الاستعماري في القرن التاسع عشر من رافدَي الاستشراق والتبشير، وأُعيد إنتاج ثقافته من ثقافة دينية متعصبة إلى ثقافة علمانية تسعى إلى فرض هيمنتها الفكرية والعسكرية على الأمة الإسلامية ومُقَدَّرَاتها المادية والبشرية. وأدرك المستعمر خطورة اللغة في بناء الفكر أو هدمه، فسعى إلى دمج الدول العربية في حضارته بالتبعية الفكرية التي أخذت في القرن التالي مسمَّى "العولمة"، أو "الحتمية الثقافية، أو الحتمية التكنولوجية"، وبذلك يضمن المستعمر السيطرة المادية على الشعوب العربية.

وقد عرفنا أن حركة الاستشراق أمدت السَّاساة بدراسات أنثروبولوجية عن الشعوب الإسلامية، وعاداتهم، ولهجاتهم، وتاريخهم، وجغرافية أراضيهم، كما قدمت لهم منهجًا جدليًّا في حكم هذه الشعوب وأساليب إذعانها وخداعها. وما كان لهم أنْ يصلوا إلى ما وصلوا إليه في خدمة الاستعمار إلا بتعلُّم اللغة العربية وآدابها، وفهم أسرارها؛ فهي وعاء فكر الأمة العربية، وأهم مقومات ثقافتها؛ "فاللغة منهج للتفكير، ونظام للتعبير والاتصال. إنَّ اللغة لا تُعَبِّر عن الأفكار فحسب، بل تُشَكِّل الأفكار، فالتفكير ليس إلا لغة صامتة" (١١).

وبناء على ذلك؛ فالحالة الاستشراقية مع اللغة العربية في القرن التاسع عشر – وهي لا شك فترة اضطراب ومقاومة، أعقبتها فترات من الاستقرار والهيمنة المؤقتة عسكريًّا، ثم السيطرة الفكرية والثقافية على المجتمعات العربية بالتغريب والانبهار بعد الاستقلال؛ ليستحيل الصراع إلى استعمار فكري وثقافي بعيد المدى في القرنين التاليين – يمكن وصفها بأنها حالة إنتاج "ثقافة مضادَّة" هدَّامة للثقافة العربية الإسلامية. فكيف تلقّى العقل العربي الإسلامي تلك الثقافة المضادة، وماذا قدمت اللغة العربية لأهليها في الإفادة العلمية من الثقافة الاستشراقية، ولَفْظ ما لا تسيغه منها ويعارض هوية الأمة العربية وثقافتها؟ هذا ما نتناوله في المحور التالي:

* * *

المحور الثالث: اللغة العربية وإنتاج الثقافة المضادة

شهدت اللغة العربية قُبَيْلَ القرن التاسع عشر، ومع بداياته حالة من جمود الفكر والتخلف عند أهلها، إبَّان صراع المماليك والأتراك على حكم العالم الإسلامي، ثم محاولات تتريك الدواوين بإقصاء العربية، وفرض اللغة التركية لغة رسمية للبلاد بعد استحواذ الأتراك على السلطة. وقد واكب هذا القرار الرسمي بتضييق الخناق على

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العربية رغبةٌ في إبعاد أهلها عمَّا يشهده العالم من أفكار، وتحولات ثقافية، ومعارف جديدة. وهذا أمر -لا شَكَّ- ينعكس أثره على اللغة بالسلب أو الإيجاب؛ فتؤكد نظرية "التصنيف النوعي للغات" أنَّ كثيرًا من اللغات يموت سريعًا؛ بسبب القرارات السياسية، أو الاقتصادية، أو الأمراض الوبائية، كما حدث للغات الهندية في البرازيل، وكان عددها يُقَدَّرُ بأكثر من ألف لغة ولهجة في القرن التاسع عشر، ثُمَّ تقلص هذا العدد الآن إلى أقل من مائتَيْ لغة ولهجة [١٢].

ويمكن وصف هذا المشهد أو المأزق اللغوي للعربية الفصحى في ذلك الوقت بأنه حالة مَخاضٍ عن حراك ثقافي وفكري، يُعيدُ للعقل العربي أَلَقَه، وتقدُّمَه الفكري، وبالتالي ينعكس أثر ذلك كله على اللغة في أثناء تفاعلها مع التطورات العالمية الجديدة، وعلومها ومصطلحاتها الحديثة، والتحيُّزات الثقافية لمجتمعاتها. قد آنَ الوقت لإحياء ثقافة عربية إسلامية مضادة **"مقاوِمة"** للثقافات الأجنبية الوافدة، يرى أصحابها أَنَّ اللغة العربية أهم مقوماتها، وأبرز ملامح هويتها، وسر بقاء حضارتها، وهي سلاحها في إيقاظ الوعي بقضايا الأمة في مقاومة الاستعمار، وإفشال مخططاته؛ لذلك واجهتْ كثيرٌ من الدول الإسلامية كل مخططات المستعمر التي تقصد إلى تغريب اللسان العربي في المؤسسات التعليمية، والصُّحف، والمؤتمرات، والندوات، ولم يتأثَّر بازدواجية اللغة غيرُ بلاد المغرب العربي تحت نِير الاستعمار الفرنسي؛ إذْ بقيت آثارُ لغته الفرنسية في خصائصهم النطقية في اللسان العربي إلى وقتنا الحاضر.

ورغم أنَّ اللغة تتأثر بأيِّ حراكٍ ثقافي للمجتمع؛ فإنها في حاجة إلى وعي أهلها بضرورة تغيير واقعهم المُتَخَلِّف، وإلى قرار سياسي، وإلى آليات تُسهم في النهوض بعد الجمود، والانتصار بعد الانكسار. وهذا ما سنجده في المشروع الحضاري والثقافي الذي كَرَّس له محمد علي باشا كل إمكاناته؛ للاستقلال بحكم مصر والبلاد العربية في الشام والحجاز بعيدًا عن الخلافة العثمانية، وبناء نهضة حديثة، منذ توليه حكم مصر في عام ١٨٠٥م. وهذا سيفرض علينا بحث روافد إنتاج ثقافة المجتمع العربي الإسلامي الذي أُرِيدَ له بناءُ نهضته الحديثة، وانعكاسات ذلك على اللغة العربية في بدايات القرن التاسع عشر ونهاياته.

١- اللغة العربية وحركة الترجمة:

كانت الترجمة أَوَّلَ اتصال ثقافي وفكري مباشر بالثقافات الأجنبية ولغاتها؛ فاتَّخذها محمد علي باشا وسيلة لإصلاح شعبه، وتثقيفه بعلوم الحضارة الأوربية الحديثة. ويرى

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

كثير من المؤرخين أنَّه رغم إعجابه الشديد بعلوم الحضارة الغربية وثقافتها، فإنَّه كان متحيزًا لثقافة مجتمعه الإسلامي؛ إيمانًا منه بأن كل حركة إصلاحية لتكوين أمة قوية لن تستمر وتزدهر إلا مع امتداد أصولها في نفس شعبها؛ فلذلك احتفظ له بروحه وتقاليده، وأقام نهضته الحديثة على أسسٍ متينة صحيحة، وَوَجَّهها الوجهة الطيبة التي أفادت منها (١٣).

وتفاعلت اللغة العربية مع الحراك الثقافي والفكري الجديد، وأفادت من نقل العلوم الحديثة إليها، وساعد على ذلك إنشاء مطبعة بولاق في عام ١٨٢٠م؛ حيث وُجِّهَ نشاطُ الطباعة فيها إلى مخطوطات التراث العربي الإسلامي؛ لتنمية قدرات المترجمين، وصقل عباراتهم وأساليبهم، كما كَثُرَت القواميس ثنائية اللغة لخدمة أغراض الترجمة، فأصبحت في متناول القراء الذين يرُومون الاحتكاك بالثقافات الأجنبية للإفادة منها. وبذلك غَدَت الترجمة الثقافية في تلك الفترة ترجمة للمعارف المستفادة، بوصفها رافدًا معرفيًّا للعربية وتطويرًا ذاتيًّا لها، ناهيك عمَّا أدخلته لغة الترجمة على صورة اللغة العربية في نظام بنائها (١٤).

ويمكن تقسيم الكتب المترجمة في عصر النهضة إلى نوعين: **"ترجمات علمية"**، وسياسية، وعسكرية، وطبية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، إذْ كان الهدف الأساس منها تكوين دولة قوية عسكريًّا وعلميًّا، ومستقرة إداريًّا وسياسيًّا في علاقاتها الداخلية والخارجية على غرار الدول الأوربية المتفوقة آنذاك، كإنجلترا، وفرنسا، وإيطاليا، وغيرها.

أما النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد شهد **"ترجمة الأجناس الأدبية"**، كالشعر، والمنثورات، كالقصص والروايات الحديثة، ويذكر جرجي زيدان أنَّ القصص والروايات المترجمة عن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية كان هدفها التسلية، وقليلًا ما كان يُرَادُ بها الفائدةُ الاجتماعية أو التاريخية، كأشعار شكسبير، وهيجو، ودوماس، وموليير، وشاتوبريان، وراسين، ... وغيرهم (١٥).

ويلاحظ أن اللغة العربية تأثرتْ بنوعية الكتب المترجمة، وبالخلفية الثقافية للمترجمين، وتفاوتهم في إتقان الترجمة إلى العربية من اللغات الأجنبية، ويبدو ذلك في المظاهر الآتية:

أ) غلب على العربية الأسلوب العلمي الذي يعتمد على الحقائق العلمية، لا على المجاز اللغوي وأساليبه الجمالية في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ب) تحرَّر الأسلوب العربي من المحسنات البديعية والسجع الذي كان سمة الكتابة، والتأليف، والتقليد في عهد المماليك، وحكم الأتراك، وهمَا عصرا جمود فكري. لكن "أسلوب الإنشاء العصري تطرق إليه تراكيب أعجمية اقتبسها الكُتَّاب من اللغات التي ينقلون عنها أو يطالعونها وهم لا يشعرون، ولكن أساتذة اللغة يرفضون ذكرها، وبلغاء الكُتَّابِ يتجنبون الوقوع فيها"(١٦).

جـ) ركاكة الترجمات العربية؛ لعدم تمكُّن المترجمين من اللغة وأساليبها الفصيحة، وهذا ما دفع محمد علي باشا إلى إرسال البعثات العلمية؛ لتلقي العلوم الأجنبية بلغاتها مباشرة، ثم ترجمتها بلغةٍ سليمة من قِبَل المبتعثين، ثمّ إنشاء مدرسة الألسن التي أشرف عليها رفاعة بك الطهطاوي. وللنهوض بلغة الترجمة، واطلاع المترجمين على العربية الفصحى في عصور ازدهارها اتجهت حركة الطباعة إلى بعض كتب التراث العربي والإسلامي.

د) عرفت الترجمة إلى العربية في هذا القرن نوعين من التعريب، تعريب "الكلمات والمصطلحات"، وتعريب "الأساليب" التي هي من خصائص اللغات الأجنبية المنقولة إلى العربية.

وتعريب المصطلحات الأجنبية جائزٌ في اللغة على سنن العرب في تراكيبهم وأبنيتهم، وهو أمر يتفق مع حال أهل العربية الذين لم يشاركوا في وضع مصطلحات العلوم الحديثة في ذلك العصر، ومِنْ ثَمَّ غَصَّتِ الترجمات العلمية بالمُعَرَّب والدخيل على العربية؛ ممَّا دفع بعض المستشرقين إلى وضع ذيول للمعاجم العربية، وتأليف مصنفات الدخيل، مثل: "ذيل المعاجم العربية"، لراينهات دوزي ١٨١٨م، وكتاب "في الكلمات الدخيلة في القرآن"، لرودلف أدفوراك ١٨٨٥م، وكتاب "الكلمات الآرامية الدخيلة على العربية"، لسيجموند أفرنكل ١٨٨٦م، ... وغيرها من المؤلفات (١٧).

أمَّا تعريب الأساليب فيبدو واضحًا في تَأَثُّر المترجمين بخصائص اللغات الأجنبية نقلوا عنها، وهم في ذلك على حالين اثنتين:

الأولى، الوقوع في أخطاء الترجمة الحرفية ذات الأسلوب العربي الركيك، وسببها أنَّ المترجم يتبع في ترجمته طريقة حصر الكلمات والمصطلحات، ثمَّ تحديد معانيها وترجمتها حرفيًّا، دون العناية بالصياغة والأسلوب (١٨)، وهذا هو الغالب على الترجمات في النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ فأغلبها ترجمات للعلوم الأوربية الحديثة.

والحال الثانية، التأثُّر بالأساليب الأعجمية العصرية، خاصة في ترجمة الأعمال

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الأدبية والشعرية الأجنبية، مع بدايات النصف الثاني من هذا القرن، ويعود هذا التأثر إلى ثلاثة أسباب هي:

- **أولهما**، الإعجاب بالصور والمجازات والأخيلة المترجمة، وفي سبيل الحفاظ عليها كما هي في لغاتها الأم وُضِعَتْ في تراكيب خاصة بهذه اللغات تختلف عن تراكيب العربية وأساليب تأليفها.

- **ثانيهما**، جهل المترجم بمقابلات هذه الصور والأخيلة وطرائق التعبير عنها في تراثنا العربي، وهي لا شك كثيرة وملائمة لأغراض الأمم؛ إذْ هي ممّا توافقت عليه طباع البشر في التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم.

- **ثالثها**، مسلمة لغوية، تفيد أن اللغة وعاء الفكر، ومَنْ يمارس اللغة تعليمًا، وتعلُّمًا، وحديثًا يتأثر بفكر أهلها، وبطرائق تعبيرهم عن ذلك الفكر. فقد مالَتْ طريقة الكتابة بالعربية إلى الجمل القصيرة، وقَصْر العبارة على أداء معنى واحد، واستحداث صيغ تؤدي معاني جديدة، والتجوُّز في بعض المفردات، كل ذلك كان بتأثير من الترجمة في الفكر العربي [١٩].

٢- اللغة العربية والاستشراق اللغوي:

دراسات المستشرقين للغة العربية وعلومها أحد روافد الثقافة بالنسبة للعقل العربي، بعد انقطاع الأمة عن تراثها الفكري ردحًا من الزمن؛ فالاستشراق مصدر للمعلومات التاريخية عن العالم الإسلامي، وقد مَرَّتْ جهود المستشرقين وإسهاماتهم في العلوم العربية بطَوْرَيْنِ اثنين [٢٠]:

الأول، طور **"تعلُّم اللغة العربية"**، قبل القرن التاسع عشر، داخل دوائر الكنيسة لأسباب تبشيرية، ومنها رغبة رجال الكنيسة في ضَمِّ الكنائس الشرقية تحت لواء الكاثوليكية الغربية. ولعل هذا الارتباط بين الاستشراق والتبشير في هذا الطور جعل حركة الاستشراق غير مُبَرَّأة من الدوافع الأيديولوجية الداعية إلى تشكيك الأمة في دينها وعقيدتها؛ وتراثها وحضارتها؛ فكان تعلُّم العربية إحدى وسائل الغزو الفكري والثقافي للشعوب العربية فيما بعد.

والثاني، طور **"البحث العلمي للغة العربية"** بمفهومه الحديث مع بدايات القرن التاسع عشر، حيث أقبل عدد محدود من المستشرقين على دراسة التراث اللغوي بدافع الإعجاب والاطلاع على حضارات الأمم وثقافاتها ولغاتها، وقد ساعدهم تحرُّرهم من التعصب والتشدُّد ضد الإسلام إلى إسهامات علمية مُنْصِفَة أقرب ما تكون إلى فهم تراث

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هذه الأمة، واحترام فكرها الحضاري؛ بل إنَّ منهم مَنْ اهتدى إلى الإسلام، وآمن برسالته العالمية السَّامِيَة.

وأخذتْ حركة الاستشراق اللغوي طابعها الأكاديمي في الجامعات والمؤسسات العلمية في بلاد الغرب، حيث تمَّ إنشاء أقسام للغة العربية، وإسناد رئاستها إلى أحد المستشرقين، كمدرسة اللغات الشرقية الحيَّة التي أُسِّسَتْ في باريس عام ١٧٩٥م. ثمَّ أُنْشِئَ في جامعة لندن منصب الأستاذية لعلوم العربية مع مطلع القرن التاسع عشر، ثمَّ أُسِّس معهد اللغات الشرقية بلندن، وكان رئيس قسم اللغة العربية فيه المستشرق الإنجليزي توماس أرنولد (١٨٦٤–١٩٣٠م)، صاحب كتاب "دعوة الإسلام"، كما شُكِّلَت الجمعية الآسيوية الملكية التي نَظَّمَتْ حركة الاستشراق تنظيمًا علميًّا مستقلًا، يستهدف الأغراض السياسية والتبشيرية [٢١].

أفادت اللغة العربية من دراسات المستشرقين للتراث اللغوي عند العرب في مجالين:

أولًا- تحقيق التراث اللغوي:

تصدر عناية المستشرقين بتحقيق التراث العربي عامة، واللغوي خاصة عن وعي بأنه هو السبيل إلى فهم الفكر الإسلامي، ومعرفة عوامل ازدهار حضارته في العصور الوسطى التي شهدتْ تَخلُّف أوربا فكريًّا وثقافيًّا. ومهما كانت الأسباب والأغراض المُحَرِّكة للنشاط العلمي الاستشراقي؛ فإنَّ العبرة بالنتائج التي انعكست سلبًا وإيجابًا على الفكر العربي في القرن التاسع عشر، وما يليه. فقد حصر الدارسون جهودهم وإسهاماتهم في خدمة تراث الأمة الإسلامية في خمسة مجالات: أولها، البحث عن المخطوطات وجمعها ونقلها وحفظها. وثانيها، فهرسة المخطوطات وتوثيقها، وتصنيفها. وثالثها، تحقيق كتب التراث. ورابعها، دراسات حول التراث وعناية بالمعاجم. وخامسها، ترجمة التراث إلى لغاتهم الأوربية [٢٢].

وتؤكد الدراسات الأنثروبولوجية أنَّ تراثَ أية أمة مُلْكٌ لأهلها أولًا؛ بحكم أصالته الفكرية في بيئته وموطن تكوينه، وكتابته بلغة تمثل وعاءه الفكري والثقافي. ومع ذلك شهدت فترة عصر النهضة الحديثة للعرب تبعية علميَّة –وليست تبعية فكرية– لجهود المستشرقين؛ نظرًا لاستحواذهم على المخطوطات العربية التي فَرَّط فيها العرب طوعًا أو كرهًا بمصادرتها، وسرقتها من المساجد، والمكتبات العربية والإسلامية، أو بشرائها من أصحابها، ثم نقلها إلى مكتبات أوربا وجامعاتها؛ إذْ بلغ عدد المخطوطات العربية

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فيها في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد [٢٣].

وبالتالي؛ لم يكن لعلماء العربية إسهامات تُذْكَر في مجال تحقيق التراث الثقافي خلال هذه الفترة، إذا ما قُورَن بإسهاماتهم ومزاحمتهم للمستشرقين في هذا المجال في القرن العشرين، وذلك بإعادة تحقيق تراثهم من خلال المحاولات الفردية، أو المؤسسات الأكاديمية ودور النشر؛ بقصد نشره، وتثقيف المجتمع، أو تصحيحه، أو ربما تنقيته من أخطاء المستشرقين التي وقعوا فيها عن قصد، أو عن غير قصد.

ثانيًا- تطبيق المنهج العلمي في البحث اللغوي:

اعتمد المستشرقون في القرن التاسع عشر على المنهج "المقارن" في دراسة العربية والسَّاميَّات لوضوحه ودقة نتائجه في تحديد أوجه الشبه والاختلاف بين المستويات اللغوية للغات واللهجات داخل اللغة الأم، أو الأسرة اللغوية الواحدة. كما طبقوا المنهج "التاريخي" على دراسة التغيُّرات الطارئة على اللغة وظواهرها خلال عصورها المتتابعة، بتحليل أصواتها، وأبنيتها التركيبية والدلالية للوصول إلى أسباب هذه التغيُّرات؛ انطلاقًا من حقيقة أن اللغة متنامية ومتطورة في ألفاظها مع تطور حاجات المجتمع وأغراضه. وساعدهم في تطبيق هذا المنهج تلك الذخيرة الهائلة من المخطوطات العربية التي جمعوها ونقلوها إلى مكتبات أوربا.

وقد دخلت اللغة العربية مع تطبيق هذين المنهجين العلميين إلى طور البحث اللغوي الحديث المَعْنِيّ بدراسة الواقع اللغوي ووصفه، ورصد ظواهر اللغة الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية. وتنوعت موضوعات البحث اللغوي عند المستشرقين في الدراسات النحوية والدلالية، والتأليف المعجمي، وتاريخ اللغة العربية، ومنها على سبيل المثال [٢٤].

- **دراسات في النحو العربي**: قام بها كلٌّ من المستشرق الفرنسي دي ساسي (١٧٥٨-١٨٣٨م)، والمستشرقين الألمان: فلايشر (١٨٠١-١٨٨٨م)، وكاسباري (١٨١٤-١٩٠٠م)، وريكندوف (١٨٦٣-١٩٢٣م)، ونولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠م).

- **التأليف المعجمي**: وضع المستشرق الإنجليزي إدوارد لين (١٨٠١-١٨٧٦م) مشروع معجم عربي إنجليزي؛ معتمدًا فيه على المعاجم العربية. ووضع المستشرق الهولندي دوزي (١٨٢٠-١٨٨٣م) معجمًا مُكَمِّلًا للمعجمات العربية.

وكان من آثار تطبيق المنهج العلمي في دراسة اللغات أنْ بحث المستشرقون لهجات اللغة العربية، وامتد نشاطهم اللغوي إلى العاميات، واللهجات الحديثة في الوطن

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العربي، وفتحوا باب التدريس لها في جامعاتهم ومعاهدهم. ويذكر الدكتور محمود فهمي حجازي أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهد اتجاهين للتأليف في اللهجاتِ العربيةِ:

الأول، اتجاه علمي أكاديمي، مثَّلته مؤلفات المستشرقين، نحو: "إضافات صغيرة إلى معجم العامية العربية"، للسويدي المكفست، و"دراسات في اللهجات العربية الجنوبية"، للسويدي لاندبرج، وغيرهما في عاميات الدول العربية في عمان، وزنجبار ودمشق، وغيرها من المدن.

والثاني، اتجاه تعليمي، يهدف إلى وضع مجموعة من الكتب لتعليم الأوربيين التحدث بلهجة ما من لهجات الدول العربية المُسْتَعْمَرة [٢٥].

وقد وضع بعض المستشرقين مدعومِين بالقرارات السياسية للاستعمار اللغة العربية في محنة "الدعوة للعاميات واللهجات العربية الحديثة"؛ لتكون لغة الكتابة، ولغة العلم في الوقت نفسه. وقد اختلفت الآراء في المجتمعات العربية حولها بين مؤيد ومعارض. وبعيدًا عن الاستطراد في مناقشة هذه الآراء؛ فإنَّ الدعوة للعاميات قامت على مغالطة "علمية ومنهجية"، فالعامية إحدى صور اللغة الأم، تطورت عنها، وسارت جنبًا إلى جنب مع الفصحى في كل عصر من عصورها، وهذا أمر تشترك فيه كل اللغات الإنسانية، وليست العربية بِدْعًا في ذلك.

وتُعَمِّقُ مثل هذه الدعوات مظاهر الخلاف بين الصورة المكتوبة (الفصحى)، والصورة المنطوقة (العاميات) في العربية. فبينما تعدُّ الصورة الأولى نموذجًا للوحدة اللغوية التي فيها تتأكد الذات العربية، وتتوحد أهدافها تجاه قضاياها المصيرية؛ تعكس الصورة الثانية التعددية اللغوية، والخلل في النظم الثقافية والتعليمية، وتشير إلى ضعف العلاقات الاجتماعية والسياسية داخل الوطن الواحد [٢٦]. ومن هنا ندرك خطورة هذه الفكرة الاستشراقية على اللغة العربية ومجتمعاتها، ويتأكد لنا أن حركة الاستشراق اللغوي كانت تعمل لأهداف استعمارية وتبشيرية للسيطرة على العرب فكريًّا وعسكريًّا، رغم وجود قلة من المنصفين المعجبين باللغة العربية وعلومها الذين غَلَّبُوا قيم العلم ومناهجه على الأهواء والنزعات القومية عند غيرهم.

٣- اللغة العربية والثقافات الأجنبية في التعليم:

للسياسات التعليمية دور كبير في التحوُّلات الفكرية داخل المجتمعات، ولا شكَّ أنَّ التحيُّزات الثقافية في تلك السياسات قد مهَّدت الطريق إلى مبدأ **تعريب اللسان أو تغريبه**

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في تدريس العلوم؛ حيث شهد القرن التاسع عشر صراع الثقافات الأجنبية مع الثقافة الإسلامية، وكانت لغة كل ثقافة منها هي السبيل إلى السيطرة الفكرية على المدارس والمؤسسات التعليمية في مصر.

فالثقافة الإيطالية وجدت طريقها إلى المجتمع المصري مع نهايات القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر، وكانت لغتها هي اللغة الأجنبية الأولى في المدارس المصرية؛ بفضل جهود الراهبات الفرنسيسكان. ثمَّ نافستها الثقافة الفرنسية ولغتها؛ فَحَلَّتْ محلَّها بعد الحملة الفرنسية على مصر، إلى أن صارتْ جزءًا من لغة التخاطب بين بعض طبقات المجتمع. ثمَّ سعى الاحتلال الإنجليزي لمصر منذ عام ١٨٨٢م إلى استبدال ثقافته بالثقافة الفرنسية المسيطرة، ووضع سياسة تعليمية جديدة في المدارس الحكومية، تفسح المجالَ أمام تدريس لغته الإنجليزية، وجعلها اللغة الأجنبية الأولى في تدريس العلوم النظرية والتطبيقية (٢٧).

وبينما وجد تعليم اللغات الأجنبية، ونشر المدارس الأجنبية مجالًا رحبًا في سياسات التعليم بمصر؛ عانى التعليم الديني من الإهمال والإقصاء، وتَمَّ حصره في الأزهر الشريف، والكتاتيب، ومُورِسَ عليه تضييق في النفقات، وفي عدد الطلاب. وكان لذلك أثرُه على تعليم اللغة العربية والإقبال عليها؛ فهي -قبل كلّ شيء- لغة الدين، ووعاء الثقافة الإسلامية التي تصدر عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومِنْ ثَمَّ نَبَتَتْ بذور التغيير الاجتماعي والثقافي في المجتمع المصري، وهي ميل الكثيرين إلى الثقافات الأوربية، والبعد عن الثقافة الإسلامية وتراثها؛ نظرًا لوجود لغات أخرى غير العربية في التخاطب داخل المجتمع.

وفي إطار حماية الثقافة الإسلامية ولغتها العربية من غزو الثقافات الأجنبية ولغاتها في مجال التعليم آنذاك؛ سعتْ بعض الحركات الوطنية إلى مقاومَة سياسة الاحتلال التعليمية، وذلك بإنشاء "جمعية التعليم المصرية" عام ١٨٨٥م، وغيرها من المدارس التي دعتْ إلى إنشائها الحركةُ الوطنية في مصر بجهود ذاتية، وبالتالي "اتجه الشعب المصري بغريزته نحو تعليم نفسه ...؛ ليعوضوا النقص والتقتير الذي قصده الاحتلال، وقد تناولت هذه الجهود الوطنية التعليمية جميع مراحل التعليم؛ حتى فاقتْ إلى حدٍّ كبير جميع الجهود الحكومية في هذا الميدان"(٢٨).

ورغم مزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية في تلك الفترة، وضعف اللغة الفصحى على ألسنة أبنائها؛ فإن الحركات الوطنية أدركت أهمية اللغة العربية في التعليم، وفي

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

خلق ثقافة مضادة "مقاوِمة" لخطط الاستعمار الفكرية والثقافية على مصر وغيرها من بلاد الوطن العربي. ومع ذلك اختلفت ردود أفعال هذه البلاد في مقاومة خطة (تغريب اللسان العربي)، فكثير من أهلها تمسك بثقافته وهويته ولغته؛ فرفض التبعية الفكرية والثقافية للاحتلال، وقليل منهم تأثر بهذه النزعة التغريبية طوعًا أو كرهًا؛ فكان لذلك آثارُه السلبية على لغته القومية، كما حدث في بلاد المغرب العربي تحت نِير الاستعمار الفرنسي وسياساته التعليمية.

وهذا التفاوت في المكاسب والخسائر خلال الصراع الثقافي والفكري بين الشعوب العربية والثقافات الأجنبية كشف بمرور الزمن –حتى بعد تحرر الشعوب العربية- عن تغيُّرات في مجتمعات هذه الشعوب، ونظرتها إلى تعليم اللغات، وكان أخطرها احتقار اللغة العربية، وإكبار اللغات الأجنبية، ولعل هذه النظرة عكست شعور بعض العرب بالتغريب الفكري، وإعجابهم بالمنتصر المتفوق في العلوم والمعارف الحديثة. ولذلك كان الشعور بالتغريب في مجتمعاتنا العربية دافعًا إلى تبنِّي سياسة "تعريب" العلوم بوصفها مطلبًا قوميًّا؛ "إذْ ليس من المقبول شكلًا وموضوعًا أن يظل العلم (أو بعض فروعه) في البلاد العربية أسيرًا للغات أجنبية تفكيرًا وتناولًا وتحصيلًا حتى هذه اللحظة. ذلك أنَّ إيثار اللغات الأجنبية على لغتنا القومية فيه تقليلٌ لشأنها، وإضعافٌ لمنزلتها بين أهلها"[٢٩].

٤- اللغةُ العربيةُ والصحافة:

شهد القرن التاسع عشر ظهور نوعين من الصحف التي صدرت بمصر: **الأول، صحف رسمية**، ظلَّت الدولة تصدرها حتى عام ١٨٥٧م، وقد اتَّجهت رسالتها الإعلامية نحو تثقيف الموظفين، وجمهور مُعَيَّن من الشعب في الشئون الإدارية، وإنجازات الدولة الاقتصادية والزراعية والعسكرية، وغيرها من القطاعات، ومن هذه الصحف: جورنال الخديو ١٨١٣م، والوقائع المصرية ١٨٢٨م، والجريدة العسكرية ١٨٣٣م، والحوادث التجارية والإعلانات الملكية ١٨٤٨م.

والنوع الثاني، صحف أهلية، وهي ثمرة نهوض الصحافة المصرية في عهد الخديو إسماعيل، حيثُ شَكَّلَتِ الرأي الآخر (فكر المعارضة)، مثل جريدة "وادي النيل" ١٨٦٧م، ونزهة الأفكار ١٨٧٠م، وجريدة الأهرام ١٩٧٦م، وغيرها من الصحف المملوكة للأشخاص [٣٠].

وتفاعلت اللغة العربية مع رافد الصحافة آنذاك، بوصفه وسيلة إعلامية مقروءة

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تُوَظِّف اللغة الجذابة في استقطاب الجماهير، وتوجيه فكرهم، وبناء ثقافتهم، سواء أكانت ثقافة مضادة "مقاوِمة" للاحتلال الأجنبي، أم ثقافة "معارِضة" لسياسات البلاد الداخلية التي تدهورت في ظلِّها الحياة الاقتصادية والفكرية. ومِنْ ثَمَّ لا يمكن إغفال هدف الرسالة الإعلامية، ومادتها، والجمهور المخاطَب بها في تحديد وضع اللغة العربية، وملامحها في ذلك الوقت.

ومهما يكن من أمر، فإنَّ الصحافة المصرية عرفت "**ازدواجية**" اللغة و"**أُحاديتها**" في بعض الصحف الرسمية، وكان أشهرها جريدة "الوقائع المصرية" الصادرة منذ عام ١٨٢٨م، حيثُ صدرت باللغتين التركية والعربية في العدد الواحد، وفي نفس الصفحة. ولُوحِظ أن النص العربي المقابل للنص التركي في الجريدة كانت لغته العربية ركيكة مشحونة بالألفاظ والتراكيب التركية؛ لكنْ بمرور الزمن وتطور الأحداث سيطرت اللغة العربية؛ لتصبح اللغة الرسمية لهذه الجريدة فيما بعد [٣١].

وترجع هذه الازدواجية اللغوية إلى أنَّ الجريدة صدرت عن الدواوين الرسمية للبلاد، ولم تكن هذه الدواوين قد عُرِّبَتْ بَعْدُ، فكان جمهورها من الموظفين الأتراك والعرب معًا، كمَا أنَّ المادة الصحفية المُقدَّمة لم تتطرق إلى موضوعات أدبية، أو تحقيقات فكرية، أو ثقافية عن المجتمع العربي أو المصري.

أما "**أُحادية**" اللغة؛ فقد عرفتها الصحف الرسمية بعد تعريب الدواوين، وعقب صدور قرار سياسي من الخديوِ إسماعيل بإصدار الصحف باللغة العربية، والتشجيع على ذلك؛ وكان الهدف منه التضييقَ على الصحف الأجنبية التي وجهت أقلامها وفكرها الاستعماري إلى زعزعة الاستقرار في البلاد، من خلال انتقاد السياسات الداخلية [٣٢].

وفي هذا السياق صدرت الصحف الأهلية التي تُخاطب جمهورها العربي، وتقدِّم له تحقيقات ثقافية، وأدبية، وفكرية حول قضايا مجتمعه؛ فكانت اللغة العربية هي المسيطرة على لغة الصحافة، وقد تزامن ذلك مع تَوجُّه فكري جديد، تزعمه السيد جمال الدين الأفغاني الذي أراد النهوض بالشرق الإسلامي ووحدته على أسس ثقافية اجتماعية، وكان من تلاميذه الشيخ محمد عبده، وسعد زغلول، وعبد الله النديم، وغيرهم من أعلام اللغة والأدب، والفكر، والسياسة. ولذلك كانت العربية وسيلتهم في تغيير الفكر الجامد، وبعث الثقافة، ومناهضة الاستعمار الأجنبي، من خلال صحيفة "العروة الوثقى" التي صدرت في باريس، عام ١٨٨٤م. ومن هنا أصبح للصحف، من خلال كُتَّابها ومحرريها وتقاليدها اللغوية وشخصيتُها اللغوية، وقاموسُها، وأساليبُها اللغوية. فما دام للغة مضامينُ

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تُخاطب ضميرَ القارئ ووعيه ووجدانه؛ فإنها من غير شكٍّ تترك أثرًا عميقًا في وَعْيِه الوطني والثقافي والسياسي، وتسهم في تشكيل صورة الأمن القومي عن طريق ذلك الوَعْي التي تشكله لغة النصوص الصحافية [٣٣].

لذلك أدرك المستعمر خطورة البعد اللغوي في الصحافة، وتأثيرها على القارئ وفكره، فسعى إلى تكوين ثقافة مضادة عكسية لثقافة المجتمع العربي المناهض له، ومَوَّل بعض الصحف المناوئة للصحف الوطنية، كجريدة "الأعلام" ١٨٨٤م، والمقطم ١٨٨٩م، وصحيفة "الزمان" التي أعاد الإنجليز إصدارها بعد منع صدورها عام ١٨٨٢م. وقد لاحظ بعض المؤرخين لحركة الصحافة في مصر أن عدد الصحف التي صدرت في العقد السابق للاحتلال (٣٣) جريدة ومجلة، منها (٣٠) صحيفة سياسية، و(٣) صحف علمية وأدبية. وأما في العقد الأول للاحتلال، فقد صدرت (٥٣) صحيفة ومجلة، منها (٤٠) صحيفة علمية وأدبية وفكاهية وتجارية، و(١٣) صحيفة سياسية. وفسُّروا هذا التفاوتَ في المادة الصحفية المقدمة للجمهور بأن ذلك لم يكن انعكاسًا واقعيًّا لثقافة المجتمع "المُقَاوِمة"؛ بل لصرف المجتمع بعيدًا عن الحديث في السياسة الاستعمارية، أو بمعنى آخر رغبة المستعمر في فرض ثقافته وتبعيته الفكرية على المجتمع العربي[٣٤].

* * *

- **خاتمة:**

وبعد، فقد كان هدفي الرئيس من هذه الدراسة إماطةَ اللثام عن ازدواجية الثقافة في المجتمعات العربية، وموقف اللغة العربية من الصراع بين ثقافة الاستشراق اللغوية المُتغلِّبة، وثقافة تلك المجتمعات المُقاوِمة للتبعية الفكرية والحتمية الثقافية، وقد خلصتُ من ذلك إلى عدة نتائج هي:

١- اللغة وعاء الفكر والثقافة في الحضارة الإنسانية؛ ولذلك كرَّست الدول الأجنبية جهودها في نشر ثقافتها؛ من خلال الترويج للغاتها في المؤسسات التعليمية، والمؤتمرات، والصحف؛ منذ هيمنتها العسكرية على الشعوب العربية، وانتهاء بالغزو الفكري، وإخضاع هذه المجتمعات للحتمية الثقافية أو التكنولوجية.

٢- سعى الاستعمار الأجنبي إلى غزو العرب فكريًّا عن طريق حركة الاستشراق وتعلُّم اللغة العربية وفهم أسرارها؛ وبهدف التواصل الاجتماعي مع البلاد الناطقة بها، ثم زعزعة الثقافة الإسلامية، وهدم ثوابتها، وتهيئة الظروف إلى استبدال

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الثقافات الأجنبية بها.

٣- فَطِن العرب بغريزتهم وتمسكهم بثقافتهم الإسلامية إلى مخططات الاستعمار، واستطاعوا بعث لغتهم مرة أخرى بالنهوض الفكري، والإفادة من العلوم الأوربية الحديثة، دون الوقوع في "التبعية الفكرية" للاستعمار الأوربي. فخلقت اللغة العربية ثقافة "مقاوِمة" للثقافات الأجنبية في تلك الفترة؛ للحفاظ على تراث الأمة، وهويتها، وثقافتها الإسلامية.

* * *

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

حواشي البحث:

١- ينظر: الفرق بين الثقافة الجمعية؛ بوصفها سمة المجتمعات قاطبة، والثقافة الفردية الانتقائية التي تصقل الفرد وتُمَيِّز شخصيته. ينظر د. فؤاد زكريا: **خطاب إلى العقل العربي**، ص (١٦-١٨).

٢- د. نهاد الموسى: **اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول**، ص (٣٨).

٣- ينظر د. علي أحمد مدكور: **التربية وثقافة التكنولوجيا**، ص (٥٣-٨٤).

٤- ينظر مقالته "اللغة وأداة التفكير" في صدر كتاب **اللغة**، لجوزيف فندريس، ص (٨).

٥- **مقدمة ابن خلدون**، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم، ص (١٥٧).

٦- ينظر د. عبد المتعال محمد الجبري: **الاستشراق وجه للاستعمار الفكري**، ص (١٣٣).

٧- ينظر الأهداف العلمية والدينية والسياسية للاستشراق ملخصًا عن د. مصطفى السباعي: **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**، ص (٢٥-٣٣).

٨- ينظر: **مقدمة ابن خلدون**، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم، ص (٤٥٣).

٩- ينظر د. عبد المتعال محمد الجبري: **الاستشراق وجه للاستعمار الفكري**، ص (١٢٧).

١٠- ينظر بواعث التبشير الحقيقية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ: **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، ص (٣٤-٥٧).

١١- د. علي أحمد مدكور: **التربية وثقافة التكنولوجيا**، ص (١٥٦).

١٢- ينظر د. محمود أحمد نحلة: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص (١٢٧).

١٣- ينظر جاك تاجر: **حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر**، ص (٢٣). ود. جمال الدين الشيال: **تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي**، ص (١٠).

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

١٤- د. نهاد الموسى: **اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول**، ص (٨٤-٨٥).
١٥- ينظر: جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية** (٢٠٨/٤).
١٦- **تاريخ آداب اللغة العربية** (٢٠٩/٤).
١٧- ينظر د. أحمد بك عيسى: **التهذيب في أصول التغريب**، ص (١٢٢-١٢٣).
١٨- ينظر: **المصدر السابق**، ص (١١٣).
١٩- ينظر جاك تاجر: **حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر** (١٤٦)
٢٠- ينظر د. محمود فهمي حجازي: **البحث اللغوي**، ص (٨٩-٩٠)، د. مصطفى السباعي: **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**، ص (٢٠-٢٥).
٢١- ينظر: د. عبد المتعال محمد الجبري: **الاستشراق وجه للاستعمار الفكري**، ص (١٨٦).
٢٢- د. علي النملة، **إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي**، ص (٢٤).
٢٣- انظر: د. مصطفى السباعي: **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**، ص (١٩).
٢٤- ينظر د. محمود فهمي حجازي: **البحث اللغوي**، ص (٨٩، ٩٣، ٩٤).
٢٥- ينظر بتصرف: **المصدر السابق**، ص (٩٦).
٢٦- ينظر مناقشة ضافية عن سيطرة العاميات: د. كمال بشر، **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم**، ص (٢٤٣-٢٧٠).
٢٧- د. جرجس سلامة: **أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر**، ص (٢٣٣-٢٣٥).
٢٨- **المصدر السابق**، ص (٢٩٩).
٢٩- د. كمال بشر: **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم**، ص (٢٢٧).
٣٠- ينظر بتصرف رامي عطا صديق: **الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر: تاريخها وافتتاحياتها**، ص (١٦-٢٩).
٣١- ينظر جاك تاجر: **حركة الترجمة بمصر في القرن التاسع عشر**، ص (٤٣).

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٣٢- رامي عطا صديق: **الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر: تاريخها وافتتاحياتها**، ص (٢٣).
٣٣- صلاح محمد محمود جرار: **الصحافة والأمن اللغوي**، ص (٢١٣).
٣٤- ينظر: رامي عطا صديق: **الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر: تاريخها وافتتاحياتها**، ص (٣٣-٣٤).

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١) **أحمد بك عيسى**: التهذيب في أصول التغريب. القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٤٢هـ-١٩٢٣م.
٢) **جاك تاجر**: حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، طبعة ٢٠١٣م.
٣) **جرجس سلامة**: أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر (١٨٨٢م-١٩٢٢م). مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٦م.
٤) **جرجي زيدان**: تاريخ آداب اللغة العربية. منشورات دار مكتبة الحياة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
٥) **جمال الدين الشيال**: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي. دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة ١٩٥١م.
٦) **جوزيف فندريس**: كتاب اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص. المركز القومي للترجمة، وزارة الثقافة المصرية، طبعة ٢٠١٤م.
٧) **صلاح محمد محمود جرار**: الصحافة والأمن اللغوي، بحث ضمن، كتاب ملتقى دور التعليم والإعلام في تحقيق أمن اللغة العربية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، كلية اللغات والترجمة.
٨) **رامي عطا صديق:** الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر: تاريخها وافتتاحياتها. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٩) **عبد الرحمن بن خلدون**: مقدمة ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم، تقديم وتحقيق إيهاب محمد إبراهيم. مكتبة ابن سينا، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
١٠) **عبد المتعال محمد الجبري**: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري. مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١١) **علي أحمد مدكور**: التربية وثقافة التكنولوجيا. دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة ٢٠٠٦م.
١٢) **علي بن إبراهيم النملة**: إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي. مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
١٣) **فؤاد زكريا**: خطاب إلى العقل العربي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، طبعة ٢٠١م.
١٤) **كمال بشر**: اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم. دار غريب، القاهرة، طبعة ١٩٩٩م.
١٥) **مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ**: التبشير والاستعمار في البلاد العربية. منشورات المكتبة العصرية، بيروت، طبعة ١٩٥٣م.
١٦) **مصطفى السباعي**: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم. دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، بدون ط/ ت.
١٧) **محمود أحمد نحلة**: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طبعة ٢٠١٤م.
١٨) **محمود فهمي حجازي**: البحث اللغوي. دار غريب، القاهرة، طبعة ٢٠١٤م.
١٩) **نهاد الموسى**: اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول. دار الشروق، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

* * *

Translation of sources and references into English:

1) Ahmed Bey Issa: Al-Tahtheeb in the Fundamentals of Westernization. Cairo, first edition 1342 AH-1923 AD.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

2) Jacques Tajer: The translation movement in Egypt during the nineteenth century. Hindawi Foundation for Education and Culture, Cairo, 2013 edition.
3) Girgis Salama: The impact of the British occupation on national education in Egypt (1882 AD - 1922 AD). Anglo-Egyptian Library, Cairo, first edition 1966 AD.
4) Jurji Zidane: History of Arabic Language Literature. Al-Hayat Library Publications, Cairo, first edition 1983 AD.
5) Jamal al-Din al-Shayyal: The history of translation and the cultural movement in the era of Muhammad Ali. Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1951 edition.
6) Joseph Vendris: The Book of Language, translated by Abdul Hamid Al-Dawakhli, Muhammad Al-Qassas. National Center for Translation, Egyptian Ministry of Culture, 2014 edition.
7) Salah Muhammad Mahmoud Jarrar: Journalism and Linguistic Security, research included in the book of the Forum on the Role of Education and Media in Achieving the Security of the Arabic Language, Naif University for Security Sciences, College of Languages and Translation.
8) Rami Atta Siddiq: The Egyptian press in the nineteenth century: its history and editorials. Al-Shorouk International Library, Cairo, first edition 1427 AH-2006 AD.
9) Abd al-Rahman Ibn Khaldun: Introduction to Ibn Khaldun, Lessons and the Diwan of al-Mubtada wa al-Khabar in the Days of the Arabs and Persians, presented and edited by Ihab Muhammad Ibrahim. Ibn Sina Library, Cairo, first edition 2009.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

10) Abd al-Mu'tal Muhammad al-Jabri: Orientalism is a face of intellectual colonialism. Wahba Library, Cairo, first edition 1416 AH - 1995 AD.
11) Ali Ahmed Madkour: Education and technology culture. Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 2006 edition.
12) Ali bin Ibrahim Al-Namlah: Contributions of Orientalists to spreading the Arab-Islamic heritage. King Fahd National Library, Riyadh, first edition 1996 AD.
13) Fouad Zakaria: An Address to the Arab Mind. Egyptian General Book Authority, Cairo, 201st edition.
14) Kamal Bishr: The Arabic language between illusion and misunderstanding. Dar Gharib, Cairo, 1999 edition.
15) Mustafa Al-Khalidi, Dr. Omar Farroukh: Missionary and colonialism in the Arab countries. Modern Library Publications, Beirut, 1953 edition.
16) Mustafa Al-Sibai: Orientalism and the Orientalists have what they have and what is wrong with them. Dar Al-Warraq for Publishing and Distribution, Islamic Office, without ed/t.
17) Mahmoud Ahmed Nahla: New horizons in contemporary linguistic research. University Knowledge House, Alexandria, 2014 edition.
18) Mahmoud Fahmy Hegazy: Linguistic research. Dar Gharib, Cairo, 2014 edition.
19) Nihad Al-Mousa: The Arabic language in the modern era, the values of stability and the forces of transformation. Dar Al-Shorouk, Amman, Jordan, first edition 2007.

* * *

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898